المداولة في أعمال عماد الدين خليل:

دراسة في التنظير والإبداع لسعيد الغزاوي*

مصطفى الحيا**

يعتبر كتاب "المداولة في أعمال عماد الدين خليل" أول عمل مباشر في الأدب الإسلامي المعاصر ينشره المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وذلك بعد نشر الكثير من الكتب بباقي فروع المعرفة الأخرى.

والكتاب الذي بين أيدينا هو في الأصل أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي تقدم بها صاحبها إلى جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية خلال السنة الجامعية 1997/1996م وقد كان عنوانها الأصل " المداول في أدب عماد الدين خليل: قراءة وتركيب للتأويل والتمثيل". ورغم أن المؤلف قد تتبع المداولة في أعمال عماد الدين خليل الفكرية والتاريخية والدعوية لكن الأعمال الأدبية كانت أحد الأهداف الرئيسية.

والكتاب يقع في أربعمائة وعشر صفحات من الحجم المتوسط، وقد جاء في أربعة فصول قبلها مقدمة ومدخل وبعدها خاتمة مستفيضة، حيث خصص الفصل الأول لمعاني المداولة وتأويلاتها والفصل الثاني لضوابطها والفصل الثالث لتجلياتها وطرق الاستدلال عليها، والفصل الرابع لمصادرها ومفاهيمها المتجاورة.

والمؤلف لا يخفي أنه يقصد بعمله كله نصرة الأدب الإسلامي المعاصر بالأساس ويعلن ذلك صراحة في أول جملة من مقدمة كتابه بعد حمد الله والصلاة على نبيه ثم يوضح المقصود بهذا الأدب الإسلامي المعاصر، فهو –أي الأدب الإسلامي– باختصار شديد: المعادل الجمالي للصحوة الإسلامية المعاصرة. وقد وضع له المهتمون به عدة تعاريف؛ فهو عند عماد الدين خليل تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور

---

* الغزاوي، سعيد. المداولة في أعمال عماد الدين خليل: دراسة في التنظير والإبداع، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2002

** دكتور دولة في الأدب العربي. أستاذ بجامعة الحسن الثاني. المحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك بالدار البيضا، عضو الرابطة العالمية للأدب الإسلامي.

الإسلامي للوجود.[1] وعند نجيب الكيلاني "تعبير فني جميل مؤثر، نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم."[2] وتعرفه الرابطة العالمية للأدب الإسلامي بأنه: "التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق الكتاب والسنة."[3]

والأدب الإسلامي –كما يراه حسن الأمراني– ليس أدب فكرة أي أنه لا يكفي أن يكون مضمون فكرته إسلامياً، فلا بد من صدوره عن ذات مؤمنة ملتزمة بالإسلام، وإلا فالأخطل وهو الشاعر النصراني له شعر مضمونه إسلامي وأفكاره إسلامية. وهذا الأدب ليس أدب فترة، أي ليس مقتصراً على فترة البعثة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين، بل يمكن أن يظهر في زمان آخر إذا توفرت الظروف المشجعة على ظهوره. وهو أيضاً ليس أدب طفرة، أي أنه ليس منبتاً مجتثاً بدون جذور وإنما يجد نماذجه وقدوته فيما أبدعه شعراء الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. لكنه أدب فطرة، على أساس أن الفطرة هي الإسلام ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (الروم: 30).

ويقترح محمد إقبال عروي أربعة حدود للأدب الإسلامي المنشود، أولها الحد العقدي: وهو حد يلحقه من صفة "الإسلامية" أي أنه أدب يتحرك وفق مطالب التصور الإسلامي؛ وثانيها الحد الذاتي: فالذات التي تبدع هذا الأدب ذات مؤمنة بالله ملتزمة بمقتضيات هذا الإيمان فكراً وسلوكاً؛ وثالثها الحد المكاني: أي أنه أدب يرتبط بالفرد المسلم فأينما وجد الأديب المسلم فثمة أدب إسلامي ولا علاقة له بالأرض والحدود؛ أما رابع هذه الحدود فهو الحد الزماني: وهو أدب كل الأزمنة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وفي هذا دفع للأوهام الناتجة عن حصر دلالة الأدب الإسلامي في الفترة النبوية.[4] ويمكن إضافة حد خامس هو الحد اللغوي: فليس الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يكتب باللغة العربية فحسب، بل يمكن أن يكتب بكل لغات العالم، ومع ذلك يسمى أدباً إسلامياً، إذا توفرت فيه الشروط المذكورة آنفاً.

---

1 خليل، عماد الدين. مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987، ص 69

2 الكيلاني، نجيب. مدخل إلى الأدب الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، العدد 14، قطر: مطابع الدوحة الحديثة، 1987، ص36

3 النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرياض: شرآة العبيكان، ط 2، 1991، ص23

4 عروي، محمد إقبال. "الأدب الإسلامي المعاصر"، مجلة الجهاد، ع 95، يناير 1990 ، ص 7

وتحاول هذه أطروحة سعيد الغزاوي أن تجيب عن الأسئلة الآتية: ما المقصود بالمداولة؟ ولماذا لم يقتصر الباحث على أعمال عماد الدين خليل الأدبية وحدها لتتبع مظاهر المداولة فيها دون سائر الإنتاجات الأخرى الفكرية والتاريخية؟ وهل المداولة مفتاح مناسب لدراسة أدب عماد الدين خليل؟ وهل نجد الباحث في تحقيق الغاية التي كان يرمي إليها؟ وأخيراً ما هي الإضافات المعرفية النوعية التي قدمها الباحث؟

ومفهوم المداولة مفهوم مركزي بنى المؤلف عليه أطروحته بكاملها. إنه ينطلق فيه من نص لعماد الدين خليل في مقدمة مسرحيته "المغول" مفاده أن "في تاريخ البشرية –وفي تاريخنا نحن بالذات– لحظات من التوهج قد تمتد إضاءتها وقد تقصر وهي على كل الأحوال ستنتهي كفعل تاريخي إلى الانطفاء، فليس ثمة دوام في حركة التاريخ. إنها المداولة التي تحدث عنها كتاب الله، التحول الدائم من صيغة لأخرى.[5] وذلك في قوله سبحانه ﴿وتلك الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: 140).

وقد قدم المؤلف المداولة كما استوعبها عماد الدين خليل بوصفها مفهوماً متميزاً لتفسير حياة الإنسان المسلم والمجتمع ومصيرهما وأسباب نهوضهما أو سقوطهما، وبوصفها أيضاً أداة لبناء الإنسان المسلم والمجتمع بما يحقق لهما من رسالة الشهود الحضاري.

لقد جاءت هذه الأطروحة سياحة شاملة في مؤلفات عماد الدين الفكرية والتاريخية والأدبية على السواء. ورغم أن صاحبها قد صرح منذ البداية بأنه يهدف من ورائها إلى نصرة الأدب الإسلامي فإن الحديث عن هذا الأدب فيها لم يأت مباشراً وذلك لاعتبارين:

الاعتبار الأول هو خاصية الموسوعية التي تتسم بها كتابات عماد الدين خليل، وهي خاصية نجدها عند الكثير من الأدباء الإسلاميين المعاصرين، الرواد منهم والمتأخرين، كأبي الحسن الندوي وسيد قطب ومحمد قطب وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني وعدنان علي رضا النحوي وغيرهم، فهم يكتبون في مجالات متنوعة متشعبة. وينظرون إلى هذه المجالات والميادين على أنها وحدة متكاملة وليست جزراً منفصلة عن بعضها البعض. ولذلك فهي تدخل في علاقات جدلية تفاعلية فيما بينها، كالعلاقة بين الأدب والتاريخ، والعلاقة بين الأدب والفكر والعلاقة بين الأدب والدعوة وهكذا. فلم يعد الأدب مجرد مكمل لشخصية

[5] المداولة في أعمال عماد الدين خليل: ص8–9، وقد نقل عن مسرحية المغلو ص8 من المقدمة

المفكر أو المؤرخ أو الداعية وإنما أصبح قسيماً بين الأقسام الأخرى له شخصيته المستقلة المتميزة ووجوده الاعتباري الخاص.

والمؤلف يرى أن "علاقة التفاعل والحوار بين الفكر والتاريخ والأدب، والدعوة إلى التكامل بين المعارف أدباً وفلسفة وتاريخاً وتصوفاً ورياضيات وهندسة وفيزياء وطبيعيات هي التي تبرر اتساع رقعة الكتابة عند عماد الدين خليل لتشمل كل هذه الجزر وتحيلها إلى أرض واحدة يسهم فيها الفكر والتاريخ والأدب، وتتكامل المعارف بغية التخطيط لحياة الإنسان المتوازنة وحركته الإيجابية التي تؤهله لحالة الاستخلاف والاستعمار والميراث."[6]

وعماد الدين خليل بدوره يتبنى مبدأ التكامل بين كافة المعارف الإنسانية أدباً وفناً وتاريخاً وفلسفة ويرفض الكتابة الأكاديمية الفجة التي تقيم الحواجز الصارمة بين الحقول المعرفية المختلفة. وقد ذهب محمد إقبال عروي إلى حد القول بنشوب صراع خفي بني التاريخ والأدب أيهما يغلب على عماد الدين، ويستأثر به دون صاحبه. كل واحد من هذين العملين يسعى إلى أن يمتلك الدكتور عماد الدين خليل كلية.[7]

أما الاعتبار الثاني فهو توسيع المؤلف لمفهوم الأدبية، وهي فكرة لطالما نادى بها قبله الشيخ أبو الحسن الندوي. فمفهوم الأدبية هذا يقصره البعض على الكتابة الأدبية الصرف تأسيساً على ما يوفره لها الأديب من شرط الجمالية داخل جزيرة الإبداع، ويوسع آفاقه البعض الآخر بغية التأكيد على أن صفة الجمالية قد تتحقق في الكتابات الأخرى، بل إنها هنا تجد تشكلاتها الحقيقية بتوفر الجمالية الطبيعية لا جمالية الصنعة.[8]

وكم من نصوص وضعت أصلاً في التاريخ أو الفكر أو الوعظ ولكنها جاءت في مستوى أدبي راق جداً دون أن يقصد أصحابها إلى تنسيقها، أو تزويقها، فالنصوص التاريخية التي نقلها ابن بسام الشنتريني في كتابه "الذخيرة" عن المؤرخ الأندلسي ابن حيان مثلاً تعتبر تحفاً فنية إبداعية قلّ نظيرها، وهي تضاهي من

---

6 المرجع السابق، ص 303

7 عروي، محمد إقبال. جالية الأدب الإسلامي، الدار البيضاء: المكتبة السلفية، 1986، ص 117

8 المداولة في أعمال عماد الدين خليل، ص 217

حيث الجمالية، بل تفوق، نصوصاً نثرية كثيرة وضعت أصلاً بقصد الكتابة الفنية. والكلام نفسه يصدق على كثير من مواعظ ابن القيم وغيره من الذي كتبوا في الأدب الوعظي.

قدم المؤلف في بداية كتابه فرضية مفادها أن المداولة تهيمن على أدب عماد الدين خليل، وليتحقق من صدق هذه الفرضية قام بعملية استقراء شاملة لمؤلفاته في التاريخ والفكر والأدب والنقد، وقد قال بأنه وقف على ما ينبئ بصدقها منذ القراءة الأولى. فإلى أي حد يمكن أن نعتبر المداولة مفتاحاً مناسباً لدراسة أدب الرجل، خاصة إذا كانت هذه الدراسة ستمر بالضرورة عبر إنتاجاته التاريخية والفكرية؟

وقد أكد حسن الإمراني في تقديمه للكتاب أن عماد الدين ليس بدعاً من الأدباء الأصلاء فلا بد أن يكون لإنتاجه الأدبي والفكري مفتاح واحد ولا بد أن تنتظم عمله الغزير وحدة معينة، ولكن الكشف عن تلك الواحدة بحاجة إلى أداة علمية صارمة تستند إلى التتبع الدقيق لكل أعمال الأديب، وهو أيضاً بحاجة إلى ذوق مرهف قادر على الإصغاء العميق المتأني إلى إيقاع الأديب المتجدد.[9] ولكنه عاد فطمأننا بأن ظنه لم يخب في هذا العمل عندما وجد أن الباحث ينطلق إلى إنتاج عماد الدين خليل بأكمله، من أجل الكشف عن الخيط الرابط بين ذلك الإنتاج المتنوع، أي عن مفتاح أدب عماد الدين خليل ولقد كان هذا المفتاح الذي كشفه الباحث هو المداولة.

واعتبر هذا الاختيار موفقاً لأنه منسجم مع المرجعية الإسلامية للشخصية المدروسة التي انطلقت من آية قرآنية هي آية آل عمران آنفة الذكر، ولأنه منسجم أيضاً مع تخصص هذه الشخصية الذي هو التاريخ، فالمداولة فكرة تاريخية بالأساس.

ثم إن الذي يتأمل عناوين مؤلفات عماد الدين خليل عموماً يجدها فعلاً تغري بدراستها عبر مفهوم المداولة منذ أول وهلة، لأن كلماته تحمل معاني مباشرة توحي بفكرة المداولة ككلمة التاريخ في "التفسير الإسلامي للتاريخ" وكلمتي الانقلاب والخلافة في "ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز" وكلمتي حاضر ومستقبل في "نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله" وكلمتي زمن وسرعة في "مؤشرات إسلامية في زمن السرعة" وكلمة آفاق في "أفاق قرآنية" إضافة إلى كلمة عبور في مسرحية "العبور" وكلمة

---

9 المداولة في أعمال عماد الدين خليل، ص 217

الإعصار في رواية "الإعصار والمئذنة" وكلمتي رحلة ومصير في ديوان "رحلة في المصير" وكلمة جداول في ديوان "جداول الحب واليقين."

ودون أن نغرق في تتبع المداولة في الكتب الفكرية والتاريخية فإننا نجد الكتب الأدبية بدورها مطواعة وخصبة لكي تدرس على مستوى المضامين انطلاقاً من مفهوم المداولة المذكور.

فمسرحية "العبور" مثلاً تبرهن بامتياز على الاستمداد من التاريخ بغاية تجسير العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل.[10] وقد وصفها عماد الدين خليل بأنها "أشبه بديالوج بين الماضي والحاضر والمستقبل تحكي بمفردات الفعل الدرامي عما كان وعما هو كائن وعما يجب أن يكون.[11]

وهي تطرح سؤالاً موجعاً مفاده: إذا كنا قد عبرنا يوماً ما إلى العالم، وإذا كنا قد اجتزنا بحار الدنيا إلى أطراف الأرض، فما الذي يجعل عدونا يعبر إلينا اليوم فيضيق علينا الخناق؟

وتطرح سؤالاً آخر أيضاً ذا طبيعة استيضاحية قلقة ونصه: لقد جرّبنا أخيراً أن نتجاوز المعادلة الباهظة، أن نعبر، ولقد نجحت التجربة ولو جزئياً، فهل لهذا الجيل أو الأجيال التالية أن تواصل العبور؟

فمواصلة العبور تحمل ولا شك معنى المداولة المستمرة...

"ومسرحية "المغول" بنهايتها مؤلمة، حيث استشهد الملك الصالح وسقطت إمارة الموصل، ما العبرة من التركيز على فترات السقوط من حياى الأمة الإسلامية؟ نجد أجابته في قراءة عماد الدين خليل الجديدة للتاريخ الإسلامي، والتي تقوم على الواقعية التي لا تقصي فترات السقوط حتى لا نصور هذا التاريخ متوهجاً وناهضاً باستمرار للسنّة الإلهية (سنة المداولة)، وقوامها أن تاريخ جميع الأمم نهوض وتوهج ثم سقوط وأفول وانتصار تعقبه الهزيمة بما كسبت هذا الأمة."[12]

---

10 المرجع السابق، ص 301

11 المرجع السابق، ص 301. وقد نقل عن مسرحيته العبور، ص 5

12 المرجع السابق، ص287-288

ورواية "الإعصار والمئذنة" شأنها شأن مسرحيتي "القطيع" و "رفض في ليل الطغيان" كتبت عن فترة سيطرة الحزب الشيوعي سنة 1959 وقد كتبها بعد مرور ربع قرن على ثورة الموصل، وفاء لمدينته التي أحبها لدرجة العشق. ويتعرض فيها لهجمة بعض المهووسين بالفكر الشيوعي على الدين، معتقدين أن بإمكان أفواههم أن تطفئ نور الله، لكنهم كما وصفهم عماد الدين خليل "كلهم ذهبوا أو سيذهبون بالميتة الطبيعية الخاطفة، أو بتمريغ الأنوف... أكلهم أو سيأكلهم الدود والذي يبقى هو "هذا الدين" شامخاً خالداً، صلباً.[13] وهذا ما نفهمه مباشرة من خلال منطق عنوان الرواية فالإعصار إلى زوال مهما طالت مدته والمئذنة راسخة شاهدة على العصر، بل على العصور المتعاقبة. أما ديوان "رحلة في المصير" فتنبئنا بعض أشطره عن يقين عماد الدين الشاعر بالمداولة والتعاقب وتنبئنا عن أمر آخر أهم، وهو تفاؤله بأن النصر عاقبة المتقين. وبهذا يتميز تأويله للمداولة على حد تعبير سعيد الغزاوي "بالواقعية المتفائلة التي لا تيأس من روح الله، وترى ببصيرتها بشائر الشروق والنهوض لهذه الأمة من عتمة الليل الطويل.[14]

في حين أن ديوان "جداول الحب واليقين" نقف فيه على نماذج يبرهن فيها عماد الدين خليل على "التاريخ الإسلامي موصول برجاله، والمداولة سنة من سنن الله الماضية ومأساة الإنسان الضائع بغير هداية الإيمان" كما نقف فيه على تجليات المداولة أو مؤشرات في الكناية عنها بالفصول والتعاقب، والطغيان علامة الاتجاه نحو الأفول والسقوط، والاستشهاد والثبات علامة للحياة الحقيقية التي تؤدي بالأمة إلى الإشراق والنهوض."[15]

وبعد كل ما تقدم نعيد طرح السؤال السابق وهو: هل المداولة مفتاح مناسب لدراسة أدب عماد الدين خليل؟ فنجيب بأن المداولة مفهوم تاريخي بالأساس يسعف في دراسة المضامين الأدبية ولا أجدها مطواعة على المستوى الشكلي فهي لا تسعف كثيراً في سبر أغوار الأعمال الأدبية من الناحية الفنية. ورغم أن لها كفاءة تفسيرية لا بأس بها على مستوى المضمون فإنها تظل فقيرة وشحيحة على مستوى الشكل.

---

13 انظر رواية الإعصار والمئذنة، ص 5

14 المداولة في أعمال عماد الدين خليل، ص 316

15 المرجع السابق، ص 313

ورغم أن صاحبها المبشر بها يعترف أنها "لا تعرض نفسها على كل ناظر في أدب عماد الدين خليل، وإنما هي مجرد قراءة لهذا الأدب استوعبت انشغال صاحبه بالتفسير الإسلامي للتاريخ، واستوعبت إشاراته المتكررة لمفهوم المداولة في ثنايا هذا التفسير ورأت أن هذا المفهوم يصلح مفتاحاً لقراءة هذا الأدب. إنها القراءة التي تعنى زاوية للنظر إلى أدب عماد الدين خليل.[16]

ورغم ذلك كله ورغم مركزية مفهوم المداولة في هذا الأدب فإننا ما زلنا ننتظر من الدكتور سعيد الغزاوي في بحوث مستقبلية حرة، مفاهيم أخرى أكثر إجرائية وأكثر فنية لدراسة أدبية الأدب عند هذا العَلَم البارز من أعلام الأدب الإسلامي المعاصر. إن هناك قضايا فنية كثيرة ما تزال عالقة ولم يساعد مفهوم المداولة المهيمن على حلها، فحينما وقف المؤلف مثلاً على إشكال فني كبير جداً هو الانتقال من الشعر العروضي إلى النثر الشعري اعتبره إشكالاً خارجياً فغض عنه الطرف بسرعة، لأن غايته هي "متابعة تجليات المداولة في الشعر كيفما كانت حلته"،[17] وذلك لأنه يستبعد الجانب الشكلي من المداولة ولا يستحضره نهائياً أثناء تحليل الأعمال الأدبية، في حين أنه كان أمام فرصة نادرة يبين فيها كيف انطبقت سنة المداولة على هذا الانتقال عند عماد الدين خليل. ونحن نعتبره انتقالاً سلبياً انتكاسياً رغم أنه يحاول إقناعنا بأنه انتقال إيجابي تطوري، فيتصور أن قصائده العروضية كتبها يوم كان قلمه هشاً، وقدراته التعبيرية متهافتة ومتناقضة بخلاف مقطوعاته من النثر الشعري التي ينظر إليها على أنها كفاء لما أراد أن يقوله خلال السنين الأخيرة. وما هي في حقيقة الأمر إلا كبوة فارس، وإننا مع احترامنا الكبير للرجل وثقتنا في ذوقه لا نسلم له في هذا الحكم النقدي الذي أطلقه على نفسه. وقد تفحصنا المقطوعات المذكورة بعيداً عن كل تعصب لعمود الشعر القديم أو تحامل على الشعر المنثور، فوجدناها تقهقراً بكل المقاييس الشكلية والمضمونية، واستبدالاً للذي هو أدنى بالذي هو خير، بل إن باكورة محاولاته العمودية الأولى على ما وصفها به من نعوت الهشاشة هي أحسن بكثير من نثره الشعري الذي يصدق عليها قول المثل "حبك الشيء يعمي ويصم" و "عين الرضا عن كل عيب كليلة."

---

16 المرجع السابق، ص 13

17 المرجع السابق، ص 306

لقد نجحت هذه الأطروحة إلى حد بعيد في اكتشاف الخيط الرابط بين أعمال عماد الدين خليل الفكرية والتاريخية والأدبية، وذلك رغم ما قلناه من أنها لم تقدم منهجية للتحليل الأدبي تتمتع بدرجة معينة من الكفاءة الإجرائية.

ولعل عذرها في ذلك أنها تحاشت أن تظل أسيرة المفهوم الضيق للأدب، ولذا لا نستغرب طغيان البعدين الفكري والتاريخي فيها على البعد الأدبي.

وقد بلغ هذا الطغيان أن الحديث الرئيسي عن الأدب في الأطروحة جاء منضوياً تحت عنوان تاريخي فرعي هو "الاستدلال بالتاريخ متشحاً بوشاح الإبداع"، وهو بدوره مندرج تحت عنوان فرعي آخر هو الاستدلال بالتاريخ بصفته أحد مباحث الفصل الثالث المعنون ب"تجليات المداولة وطرائق الاستدلال..." هذا من حيث الموقع أما من حيث الحجم فإنه لم يتجاوز في مجموعه خمساً وثلاثين صفحة: عشرون منها للمسرح واثنتا عشرة صفحة للشعر وصفحتان ونصف للرواية، مع العلم أنه لا يكاد الباحث يستشهد بأي نص إبداعي في باقي الأطروحة خارج العنوان الفرعي المذكور.

ويبدو أنه فضّل أن يخدم الأدب الإسلامي بطريقة غير مباشرة وذلك عبر التاريخ والفكر عوض أن يخدمه بطريقة أدبية صرفة مباشرة. ولذلك فنحن نرى أن تغيير العنوان كان في محله.

فكيف يبرز الأدب على مستوى العنوان ولا يكاد يصل حجمه العشر من مجموع صفحات الكتاب وهذه يحتم على الباحث أن يواصل دراسة هذا الأدب وخاصة الإبداع منه بمفاتيح أخرى مناسبة، وأول الغيث قطر ثم ينهمر وأطروحة الدكتوراه بداية وليست نهاية.

وقد تضايق حسن الإمراني من غياب الأطروحة في الأطاريح الجامعية التي تناقش فقال: "كم من رسالة جامعية ما وراءها من رسالة وكم من أطروحة لا تحمل أي أطروحة، بحوث تتكدس ورسائل تتراكم وأطاريح تترى ثم لا يتقدم البحث، بعد ذلك التقدم الذي يرجى من ورائه النفع العميم، ويظل التميز هو القليل والجيد هو الاستثناء."[18]

---

18 المرجع السابق، ص 3 من التقديم.

إن هذا الحكم المتذمر من عدم جدوى الكثير من البحوث الأكاديمية له ما يبرره في أغلب الأحيان، وإن الأطروحة التي بين أيدينا حاولت أن تكون ضمن المتميز القليل أو الاستثناء الجيد "فهل وفقت في ذلك؟"

لقد أصغى صاحبها بإمعان إلى أعمال عماد الدين خليل حتى وصل إلى المفتاح المناسب لهذه الأعمال ألا وهو المداولة؛ فالناقد الفذ والقارئ الحصيف على حد تعبير حسن الإمراني هو الذي يحسن الإصغاء إلى صوت الشاعر من أجل أن يعثر على مفتاح القصيدة المتجددة.

ولذلك أقر صراحة بأن سعيد الغزاوي يملك فعلاً أطروحة يقدمها للناس أو هو يكشف عن هذه الأطروحة عندما يجول في كتابات عماد الدين خليل بهذا المفتاح الذي هو "المداولة."[19] وبذلك يكون قد لفت الانتباه، ولأول مرة، إلى المداولة بصفتها أداة للتحليل وسبر الأغوار الفكرية والتاريخية والأدبية عند عماد الدين خليل بوصفه أحد كبار المهتمين بإسلامية المعرفة.

ويكفي هذا العمل فخراً أنه أو أطروحة من هذا المستوى الأكاديمي العالي تُخَصّص لعَلَمٍ من أعلام الأدب الإسلامي المعاصر تنظيراً وإبداعاً.

وحسب المؤلف أنه حاول، وأي الأعمال البشرية يولد كاملاً؟ وعهدي به أنه يحبّ تنشيط النقاشات وإثارة القضايا، ويهوى إخراج الكوامن وتحريك الرواكد، ولكن المستفيد الأكبر من ذلك كله هو الأدب الإسلامي، لأن الفارس الوحيد لا يمكن أن يثير الغبار بمفرده.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

---

19 المرجع السابق، ص 4 من التقديم